هاني حبيب

في القوميـــة والوحـــــدة والثورة العربيـة



منشورات



تونس
1986

في القوميّة والوحدة والثورة العربيّة

هاني حبيب

لقد داب المفكرون العرب على تناول العناصر الثلاثة ، موضوع بحثنا ، القومية والوحدة والثورة العربية مجزاة كعناصر للبحث مستقلة منفصلةوكانهم يكرسون بذلك واقع التجزئة الذي تعيشه الامة العربية ، وهذا ما الح علي ومنذ زمن لتناول هذا البحث .

ان القومية والوحدة والثورة العربية بالنسبة لنا كعرب تشكل وحدة متكاملة شاملة لا تقبل التجزئة لان القومية والوحدة والثورة ، بابعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ما هي الا عناصر تكون المعادلة التالية :

قومية + وحدة + ثورة ⟵ شعب ووطن واحد

دعنا نختصر « القومية والوحدة والثورة » اي العوامل الثلاثة المكونة لمعادلتنا بعبارة واحدة وهي « الوحدة العربية » لان الوحدةالعربية ما هي الا نتيجة للتفاعل الثوري بين الشعور القومي والثورة ، أو بعبارة اخرى هي حصيلة وعي قومي مصيري شامل ينصهر ، بفعل حركة ثورية في اطار تاريخي يحمل مقومات الشخصية العربية بكل ما الم بها من نصر وهزيمة ومخضبا بالمعاناة التي المت بالامة العربية والارض العربية التي تعرضت للتشتت والضياع والتجزئة وللغزوات على مدى الف عام . ان التاريخ هو الذي صنع الحاضر الذي نعيشه بابعاده :

التجزئة والتخلف الاقتصادي والفكري، والتمزق الاجتماعيوالروحي والقومي ، والاستغلال والاحتلال والتشرد والهزيمة .

وينتابني شعور مغلف بالحزن والاسى عندما اقرا مقالات حول القومية والوحدة العربية جميلة ومدبجة بكلمات وعبارات انيقة وسلسلة، ولكن ما يحزنني فيها انها في مجملها تنصب على برهان بديهية اننا امة عربية واحدة ووطن عربي واحد وننتمي الى قومية واحدة . اننا في هذا نبرهن على صحة بديهيات اشبعها الرواد القوميون العرب بحثا وتعليلا منذ القرن التاسع عشر حتى اصبحت واقعا عربيا سياسيا واجتماعيا لا جدل فيه اليوم وخاصة بعد ان حددها حزب البعث العربي الاشتراكي (وحدة حرية اشتراكية) بصورة لا تقبل الجدل . واذا كان الواقع هكذا فلا اجد مبررا للبكاء على الاطلال . دعونا ننتقل الى فهم الواقع العربي وتحديد العوائق والسلبيات التي تحول دون تحقيق الوحدة العربية والايجابيات التي تقربنا من هذا الهدف كعوامل منبثقة عن واقع الامة العربية كشعب وكوطن وكتيار او تيارات اجتماعية وسياسية تمبث بهذه الامة حاضرا ومستقبلا .

لا اعتقد ان امة من الامم عانت وتعاني من تناقضات كالتي تحياها امتنا ووحدتنا العربية . ان العرب كأمة ، يعترفون قولا وعاطفة وفي ازمات

الفرح والهوان بأنهم امة واحدة تعيش في وطن واحد ويؤمنون بوحدة الماضي والمصير المشترك . ان في هذا تناقضا ولازالة الابهام والتناقض يتوجب علينا ابراز مكونات هذا التناقض . نحن امة واحدة تعيش على وطن واحد ويواجهنا مصير واحد مشترك ولكننا ومع كل اسف نعيش شعوبا بل أمما تعيش الامها ومعاناتها منفردة ، على أوطان لها حدودها وتتمتع بسيادات متنافرة تفرضها أنانيات اقليمية تتجذر وتتعمق اصولها مع الزمن . اننا امم عربية توجهها نظم سياسية متباينة في جوهرها تجمع كل النظم السياسية التي عرفتها المجتمعات البشرية المنظمة . امم تعاني كل ما عرفته أمم الارض عبر التاريخ من اذلال وسيطرة استعمارية مباشرة وغير مباشرة ، واستقلال انساني واقتصادي واجتماعي وسياسي ان الوطن العربي يخضع لسيطرة استعمارية مباشرةوغير مباشرة ، حديثة وقديمة ، ولكل انواع الاستعمار واساليب الاستغلال التي ابتكرتها الجماعات السياسية الاستعمارية المستغلة . ورغم ذلك نجد ان نظما عربية تقدمية ثورية تحكم جزءا من الوطن العربي ومن هذه الامة غير الموحدة ولكن تلك النظم تتعرض هي الاخرى لحركة اجهاض مستمرة تشنها القوى المضادة قوميا المتمثلة بقوى التخلف الداخلية وقوى خارجية متمثلة بالاستعمار باشكاله وانواعه وعلى اختلاف مشاربه . وتلف هذا الوطن وهذه الامة حقيقة تاريخية مفادها ان التاريخ لا يعترف للشعوب بالمكان الوسط ، وما التاريخ الا صراعا بين القوي والقوي وبينهما ينصهر الضعيف . التاريخ حركة مستمرة وثورة تحركها الشعوب لتحمي نفسها من السقوط ، اداتها القوة ومن استعصى عليه امتلاكها سقط في ثنايا النسيان والاهمال ولابد ان يعيش حياة التخلف والعبودية والتسلط والغزو . التاريخ حركة استعلائية دائمة ينتصر فيها القوي وتخسر فيها الامم المستضعفة .

ومن أجل تحديد التناقضات التي نعيشها كعرب ، وتحديد المعوقات التي نواجهها كامة سنتعرض في بحثنا الى العوامل المعادية الداخلية والخارجية التي تمزقنا كأمة وكوطن :

العوامل الداخلية

يعيش العرب اذن في تناقضاتهم الخانقة . انهم أمة واحدة ولكنهم يتصرفون وكأنهم أمم متعددة . ان الوطن العربي وطن واحد ولكن العرب يعيشون في اوطان ودويلات ودول . انهم قومية واحدة ولكنهم يتعاملون كقوميات متباينة متحاربة في تناقضاتها . انهم يكونون قوة اقتصادية موحدة متكاملة ولكنهم في واقع الامر قوى اقتصادية لصالح اعدائهم ، مسخرة لقتل العرب وتكريس عبوديتهم واستعمارهم وتخلفهم والامعان في هزيمتهم وتجاهلهم بين الشعوب .

اذا كان هذا هو الواقع العربي قولا وفعلا فما هي اسباب هذه التناقضات العربية اذن ؟؟

ان الانسان هو العامل الوحيد الذي ترتكز عليه مفاهيم القومية والوحدة والثورة لأنه لا قومية دون انسان قومي ، ولا ثورة دون ثوريين، ولا وحدة دون انسان قومي ثوري ، فما موقف الانسان العربي بصفته شعبا ونظاما سياسيا ؟؟

الشعب العربي والوحدة العربية

لا اعتقد ان امة من الامم او شعبا من الشعوب يعيش على وطن واحد اجمع وآمن بوحدته وماضيه ومصيره المشترك كما يؤمن الفرد العربي وبالتالي الغالبية العظمى للشعب العربي بحيث تكفي في الاطار الديمقراطي الحر لاختيار الوحدة العربية كنظام سياسي واجتماعي ، فما الت مصيبة في ارض عربية او شعب عربي الا ونزفت لها قلوب العرب في جميع ارجاء الوطن العربي الكبير وندبها شعراؤه وادباؤه وبكاها ابناؤه، وما حقق قطر عربي نصرا الا وخفقت له قلوب العرب طربا سواء في الوطن العربي او بلاد الغربة .

فالعرب اذن كامة واحدة متحدون في مشاعرهم وعواطفهم وقلوبهم وآمالهم ولكن وحدة العواطف والآمال قد لا تمثل الحد الادنى المطلوب لبلوغ المستوى الثوري الذي تتطلبه وحدة الامة والوطن . لان الخطوة الاولى نحو الوحدة تتطلب صنع الانسان العربي القومي الثوري العامل الاهم في صنع القرار السياسي القومي الكبير ولان الامة هي مجموعة افراد صهرتهم وحدة الارض وقومية التاريخ والآمال والمصير المشترك .

النظم السياسية العربية والوحدة العربية

ان الوطن العربي سلة تتجمع فيها جميع النظم السياسية التي عرفها الانسان منذ العصر القبلي الى يومنا هذا . ان الغالبية العظمى من الاقطار العربية ، بأنظمتها السياسية ، غير قادرة وغير مؤهلة لزج مالديها من اسلحة فعالة وقاتلة في حرب الوحدة العربية الشاملة لان تلك الانظمة لا تملك من شانها شيئا ولا تملك حرية اتخاذ قراراتها السياسية القومية. ان اربع دول عربية منتجة للبترول صدرت الى أسواق الامبريالية العالمية في العام ١٩٨٠ (٢٤) مليون برميل من البترول يوميا ومازالت تصدر نفس هذه الكمية يوميا الى اعداء الوحدة العربية وبقيمة بلغت حوالي (١٥٠) مليار دولار . ان المبالغ التي تحتاجها تلك الدول لتمويل ميزانياتها المادية للعام ١٩٨١ لا تحتاج لتصدير اكثر من ٤ ملايين برميل ، وفي هذه الحالة فهي ليست مضطرة لتصدير بترولها للعدو لان السوق الدولية الاخرى تمتص اضعاف هذه الكمية وبيسر . ان هذه الحالة تمكن الحقيقة السياسية لتلك النظم التي لا تملك حرية اتخاذ قرارها السياسي ولا تملك بالتالي القدرة على تحديد كمية انتاجها من ثرواتها الطبيعية بالقدر الذي يتناسب مع نفقاتها السنوية والقدرة على امتصاص دخولها ، في اطارها الاقليمي ، لان القرار النهائي في هذا الشأن تتخذه الامبريالية العالمية التي تفرض هيمنتها على مقدرات الوطن العربي . ان تلك الانظمة لا تملك حتى القدرة على المطالبة بثمن بترولها المصدر عنوة عن ارادة الامة العربية . ان المبالغ التي تحصل عليها مقننة بمقدار مايكفي لتنفيذ الاهداف المحددة مسبقا من قبل الامبريالية العالمية صاحبة القرار

في هذه اللعبة . واذا كان هذا هو واقع الانظمة السياسية العربية فهل يعقل ان نخوض حرب الوحدة العربية بمعارك منفصلة. وكيف يمكن لنا ان نبدا بمعركة قومية كمعركة تحرير فلسطين والاراضي العربية المحتلة ومعركة التحرير هذه تطلب منا ان نخصص اقل من ٤ بالمائة من قيمة صادرات سلعة واحدة هي البترول ، ولكننا عاجزون عن استخدام حتى هذه النسبة الضئيلة في معركتنا كي نضمن النصر . لماذا ؟؟ لان سلاحنا العربي لا نملك القدرة الفعلية على استخدامه لانه يخضع لاحتلال عدونا الذي نقاتله على ارض فلسطين .

انا نركز دائما على ساحة الوطن العربي ، بيننا كعرب ، وفي المحافل الدولية على ان القضية الفلسطينية هي محور القضايا وهي المشكلة الاساسية التي نواجهها في هذا العصر . كأمة ، ورغم قناعتي بهذه المقولة الا انها صحيحة فقط اذا ماعزلنا قضية فلسطين وقضية الغزو والاحتلال الصهيوني والامبريالي لارض فلسطين وأراضي دول عربية اخرى عن مشكلة العرب الرئيسية او الاساسية وهي مشكلة اللاوحدة العربية ، مشكلة التجزئة ، مشكلة تمدد الشعوب واللا امة ، مشكلة الاقليمية التي بدات تتجذر في اعماق وطننا العربي الطيب الذي حكمته على مدى التاريخ مفاهيم فلسفية انسانية في مضمونها وشمولها ، ورسالات سماوية انزلت للناس جميعا وللبشرية قاطبة وتنكرت لكل مظاهر الاقليمية . ونقدم هذا المنطق اساسا لفهم دور مؤتمرات القمة العربية في جمع الصف العربي التي لا تخرج في فائدتها القومية عن تنفيذ هدف تكتيكي في معركة شبه قومية . ولكم كانت تدهشني مقالات مدبجة ملآى بالتفاؤل بأن تلك المؤتمرات ستقدم الوحدة العربية على طبق من ذهب كالذي يتناول عليه ملوك وامراء العرب طعامهم لان هؤلاء لا يملكون الوحدة العربية كما انها ليست قطعة حلوى على اطباقهم الذهبية لان الوحدة العربية هي مزيج من دماء الشهداء ، وخيام اللاجئين ، ودموع اليتامى والثكالى ، وارادة الصمود ، ودرع المحارب وحمم النسور المقاتلة . انه القرار الذي ينبع من وطن هؤلاء جميعا . ينبع من سورية مثلا التي تقدم كل التضحيات والتي هي على استعداد للعطاء . انه قرار ازلي يأتي صدى من شهداء

الجزائر لان ثورتهم كانت الخطوة الصحيحة في الحرب العربية الشاملة من اجل الوحدة العربية ، ولان دماء المليون شهيد هي وحدها القادرة على ارواء شجرة الوحدة العربية ، واذا اردنا فلتعانق رمال الصحراء العربية بشموخها وأصالتها وعنفوانها ذرى « الاوراس » ولتنهض تلك الرمال بجبروتها وعزتها وابائها وشممها وتقضي على الحشرات الغريبةالتي تتدثر بكل حبة منها لانه هناك اجنبي غاز تحت كل حبة رمل من رمال صحرائنا الطاهرة بشكل او بآخر .

ان هذه الحقيقة تدعوني لتكرار النص التالي الذي تضمنته دراسة لي نشرت في مجلة المناضل بعددها رقم ١١٣ تاريخ ايلول ١٩٧٨ بعنوان « دور العربي في السياسة الدولية » والذي بدا بالسؤال التالي :

باعتقادنا ان العناصر المكونة لاستراتيجية عربية شاملة هي :

١ ــ البترول العربي .

٢ ــ قومية المعركة :

٣ ــ الانسان العربي الثوري .

ومن هذه العناصر الثلاثة معادلتنا البترولية التالية :

البترول العربي + قومية المعركة + الانسان الغربي الثوري ←
يعطي استراتيجية عربية شاملة (تحرير + تنمية) .

لقد ادركت الولايات المتحدة الامريكية اهمية العنصر الاول (البترول العربي) واهمية دوره في تخطيط السياسة الدولية وهددت اكثر من مرة باحتلال حقول النفط العربية في اللحظات التي يصبح فيها التهديد بالخطر ضروريا كما ان الدبلوماسية الامريكية النشطة كانت البديل العملي لسياسة التهديد بالاحتلال . ولقد نجحت امريكا حقا في عزل قضية الشرق الاوسط بعيدا عن قضية البترول العربي والعالم الصناعي ، ونجحت بالتالي في عزل العوامل المكونة لمعادلتنا واجهاض الاستراتيجية

العربية الشاملة كما حددناها قبل ان تولد . فالبترول العربي ، العنصر الاول ، حولته الراسمالية الى بترول عربي من حيث المولد او المنبت ، واعجمي من حيث الممارسات الحقيقية والدور الذي يؤديه لهذا الوطن المنكوب . انه حاضر مهاجر ، في بلاد العم سام وبلاد الانكلو ساكسون بلاد الغربة،والمطلوب من الشعب العربي ان يمارس حقه الطبيعي في تحرير هذا الوليد من عبودية الراسمالية العالمية .

اما قومية المعركة ، العنصر الثاني ، فانه لمن الواضح ان العائدات البترولية الفائضة والتي تعجز دول البترول العربية عن امتصاصها تبلغ حوالي (٥٠) مليار دولار سنويا بدءا من العام ١٩٧٧ ويساوي هذا المبلغ حوالي ٢٠ ضعفا لما تستطيع اسرائيل زجه سنويا من أموال في ميدان التسليح العسكري كما ان الولايات المتحدة التي يعاني ميزان مدفوعاتها عجزا سنويا يزيد على ٢٥ مليار دولار ، عاجزة عن تمويل ميكانيكية حرب جديدة في الشرق الاوسط يهيء لها العرب بكامل طاقاتهم خلال سنتين او ثلاث سنوات في الوقت الذي تقدر فيه تكاليف كل طرف بما يزيد على ١٥ مليار دولار اسبوعيا .

اما العنصر الثالث ، الانسان العربي الثوري ، فلقد اثبتت الاحداث التي تلت حرب تشرين ان مصلحة النظم السياسية العربية لا ترقى الى مستوى الثورية التي تتطلبها معادلتنا مما يجعل حكما العوامل الاخرى معادلة للصفر .

فالعرب إذن امة مستعمرة . مستعمرة اقتصاديا ومحصلة نظمها السياسية دون المستوى الثوري ، وما احوج هذه الامة الى معركة تحرير تبدا بالانسان اولا العنصر الرئيسي في انطلاقة هذا الوطن .

ان استراتيجيتنا العربية اذن استراتيجية واقعية بل هي كاللقيط تنمو بدون نسب وتنتظر امة تتبناها قبل ان يهرم ويفوت الاوان ، وما اشبه هذا اللقيط العربي الاسود بفارس الفوارس عنترة بن شداد ،

القوة القتالية الجبارة والفارس الذي حمى الحمى ورعب الاعداء واعتزت به قبيلته وتيم عبلة معشوقته ولكن ظروفا اجتماعية قاهرة حالت دون اعتراف ابيه ببنوته الى ان جاء ذلك اليوم الذي اعترف الوالد فيه بولده .

فهل ياتي ذلك اليوم الذي ستقهر فيه امتنا العربية قيودها وتعترف بعروبة بترولها ؟؟

وباعتقادي ان حربنا من اجل الوحدة حرب شاملة ساحتها الوطن العربي من المحيط الى الخليج ومن البحر الابيض المتوسط شمالا الى بحر العرب جنوبا . ولقد اغتيلت القومية العربية ، ركيزة الوحدة العربية ، على يد الفرس بانتصار العباسيين على ابناء عمومتهم الامويين وتأسيس حكمهم الذي ادخل العنصر الشعوبي كعامل منافس للقومية العربية وجعله في وضع متوازن معها . واغتيلت الوحدة العربية باغتيال الخليفة العباسي المتوكل نتيجة لاختلال التوازن بين الشعوبية والقومية العربية لصالح الاولى . وانهارت بذلك الحين الوحدة العربية وسادت التجزئة، وتأسست الدويلات والدول والامارات والممالك ، وفشلت جميع المحاولات التي قادها رجال قوميون عرب لإعادة توحيد الوطن العربي وبناء الامبراطورية العربية المنهارة واعادة مجدها . ويرجع السبب الرئيسي لهذا الفشل ظهور انظمة سياسية جديدة تديرها عناصر شعوبية وجدت في دويلاتها انتصارا لوجودها وتكريسا للتجزئة والانعزالية ومانعا للوحدة العربية وحائلا دون الانبعاث العربي القومي ، مبعث الوحدة العربية .

– ٢ –

العوامل الخارجية

ان التاريخ السياسي مسيرة دائمة نحو التقدم والامثل ، تتشابك فيها الاحداث حتى انها تبدو للمرء متماثلة رغم تراكم الايام . وان تماثل الاحداث التاريخية صحيح اذا افترضنا ان الوجود تحكمه قوانين ثابتة ،

ولكن الواقع مغاير لهذا الافتراض لان التاريخ تحكمه قوانين ديناميكية ذات حركة تصاعدية هي محصلة التناقضات الفلسفية والنزعات الفردية والقومية للامم التي تتصارع في هذا العالم وعلى مدى التاريخ ، علما بأن التجمعات البشرية ، التي يطلق عليها أمم ، تشكل في تكوينها ايضا حركة ديناميكية متغيرة ، بفعل الزمن والظروف السياسية الدولية ، تقبل التفكك الى كتل اجتماعية صغيرة تقبل الانصهار في كتل او اقوام بشرية معادية ، ولكن ذلك يحصل في الامد الطويل فقط . وتتراءى لنا الاحداث متباينة بسبب ديناميكية الزمان واختلاف ادوات السيطرة والاحكام وتوجيهها لتلك الاحداث . ورغم هذه الحقيقة التاريخية المطلقة فان هنالك عنصرا واحدا يتصف بالثبات والديمومة النسبية . انه يتبدل كالوجود ولكنه يتبدل فقط في الامد الطويل وهو النزوع للسيطرة والاستغلال واستعباد الشعوب . انه نزعة عنصرية متأصلة لدى جماعة سياسية معينة تتوارثها تلك الجماعة عبر التاريخ حتى انها اخذت مع الزمن اطارا سياسيا متكاملا ووصلت الى أرقى واعلى تنظيم سياسي محكم لها اليوم هي الامبريالية العالمية المعاصرة .

واستكمالا لهذه المقدمة يقتضي القول بأن الصراع التاريخي بين المستغلين والمستغلين تطور من صراع ينتهي بتغلب قوة واحدة وزوال ماعداها ، الى عصر نعيش فيه ، عصر توازن الرعب ، يتحقق فيه توازن مدمر بين القوتين الاعظم وتنعدم فيه احتمالات احتكار القوة المطلقة ومصادر السيطرة والتحكم في هذا العالم من قبل طرف واحد حتى نجزم القول على أن طبيعة الصراع بين القوتين الاعظم تنصب على التسابق في تطوير القوة وتعزيزها واستحداثها كأداة للدمار الشامل المستحيل وليس للمواجهة المستحيلة . ان لعبة العصر تقبل تبادل المواقع على لوحة الشطرنج ، الكرة الارضية ، على أن لا تحتك عناصر اللعبة ولا يموت « الشاه » . ان ما يميز صراع القوتين الاعظم في هذا العصر عن الصراع في عمق التاريخ ان واقع العصر ، واحتمالات الدمار الشامل ، يقبل بتعدد القوى مما يمنح الامة العربية فرصة لدخول نادي قوى توازن الرعب اذا قدر لها أن تستغل وتستثمر مقومات التطور والثروة البشرية والطبيعية الهائلة لديها والتي لا تتوفر لدى امة أخرى من الامم في هذا العصر .

النضال من اجل الوحدة العربية « حرب قومية شاملة »

انهارت الوحدة العربية ، في زحام الصراع الدولي بقتل « المتوكل » الخليفة العباسي ومنذ ذلك الحين والقوى المعادية تشن حربا ضدالوحدة العربية ، ومهما تبدلت تلك القوى ، فهي مستمرة في هذه الحرب ، سواء تحسس العرب هذه الحقيقة أم لا ، فان اعداء الوحدة يعيشونها ويخططون لها معركة اثر معركة ويستخدمون في معاركهم المتلاحقة جميع الاسلحة الشعوبية ، والصليبية ، والخلافة الاسلامية (العثمانيون وزعامة المسلمين) ، وتمويل شق قناة السويس ، والمحافظة على الرجل المريض، وحماية الخلافة العثمانية ونصرتها على محمد علي وابنه اسماعيل اللذين حاولا بناء دولة من مصر وبلاد الشام كنواة لامبراطورية عربية بزعامة اسرة البانية ، ووضع الوطن العربي تحت انتداب الدول الامبريالية المنتصرة في الحرب العالمية الاولى ، واقامة انظمة سياسية في شخصية زعماء قبائل عربية تتحكم باسم الامبريالية العالمية وبالمقابل يملك هؤلاء القصور والقوت اليومي ، وزرع الكيان الصهيوني في فلسطين ، واستقدام الصهيونية واستغلالها في حربهم ضد الوحدة العربية وغرزها خنجرا مسموما في نحر الامة العربية نازفا من دمها ، وتحطيم وحدة سورية ومصر ، وشن معارك لقتل ايجابيات النهضة او الروح الثورية التي اجتاحت بلاد الشام ومصر وتثبيط همم الثوار ، وقتل عبد الناصر الثائر العربي ، وتنصيب خليفة للثورة المصرية ولقائدها عميلا اذل العرب والقومية العربية واعلن الحرب ضد الوحدة العربية وانضم الىالصهيونية والامبريالية انتصر لهم على أمته .

الصهيونية : أهي أداة أم شريك أم عميل للامبريالية العالمية ؟

للامبريالية العالمية ، وعلى مدى تطورها عبر التاريخ ، محاولات مستميتة لاخضاع الوطن العربي لنفوذها واستعماره . ولقد عللت حملاتها تارة باسم الدين واخرى باسم الانتداب وتأهيل الشعب العربي

لممارسة السلطة والحكم ، وعلى صورة الاستعمار الحديث ، والاستعمار الاقتصادي ، والتارجح بينهما تبعا للظروف .

واستقدمت الامبريالية الصهيونية الى الوطن العربي لاحدى الاساليب التجريبية في الوقت الذي تمكنت فيه من وضعه تحت احتلالها واستغلالها المباشر . وهيأت لغرس شجرة الصهيونية في قلب الوطن العربي والامة العربية خلال النصف الاول من القرن الحالي . ولقد تم توقيت اعلان قيام الكيان الصهيوني في فلسطين مع توقيت تطوير الاستعمار وانتقاله من شكله القديم الى الحديث القائم على سحب قوات الغزو الامبريالي وتسليم السلطة الى انظمة سياسية محلية عميلة تحكم بالنيابة .

ويمثل الكيان الصهيوني الذراع الطويلة في الوطن العربي ، بغياب العصا العربية الغليظة ، ومصدر قلق وعدم استقرار دائم لان الثورة العربية مستمرة حتى تتحرر فلسطين من الصهيونية . وطورت الامبريالية ـ الكيان الصهيوني ، بغياب الشعور القومي العربي المشترك بالمسؤولية التاريخية ، الى قاعدة عسكرية عنصرية وغذتها بأحدث مبتكرات التكنولوجيا العسكرية واكثر الاسلحة الفتاكة تطورا ، وربطتها بأجهزتها التجسسية « والامنية » وصنعت منها دولة ذرية وسخرت لها كل طاقاتها السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وهيأتها لتكون مصدر قلق دائم في منطقة عرفت على مدى التاريخ بأنها منبع الحضارة والفكر القومي الوحدوي الثوري المنظم وهي بلاد الشام .

لقد وهبت الامبريالية العالمية الصهيونية « وطنا قوميا » واستغلت مخططات الصهيونية العنصرية الاجرامية وتطلعاتها التي حددها مؤتمر « بال » في العام ١٨٩٧ بالعودة الى ما يدعى « ارض الميعاد » وقدمت ، وتقدم لها اسباب البقاء في الارض العربية متحدية بذلك التاريخ ، والاعراف الدولية ، وحقوق الشعب العربي بالعيش على ارضه ، وميثاق منظمة الامم المتحدة ، والقانون الدولي مقابل الخدمات الثمينة التالية التي يقدمها الكيان الصهيوني للامبريالية العالمية :

- تشريد الشعب العربي والمحافظة على تجزئته ومنع وحدته والامعان في تجزئة دويلاته الى ممالك شبيهة بالتي عرفها الوطن العربي في عهد المماليك ليسهل على الامبريالية استغلاله وعلى الصهيونية احتلاله .

- ابقاء الوطن العربي في حالة التخلف الاقتصادي والاجتماعي والتقني ، وذلك بتدمير خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية العربية في مهدها . واثارة عدم الاستقرار السياسي والامني لمنع العرب من تنفيذ مشاريع التنمية .

- تدمير اية محاولة عربية جادة لبناء صناعة عسكرية ، وخاصة ذرية ، لتحقيق التوازن والتفوق العسكري على الصهيونيةوالامبريالية.

- المحافظة على الوضع السياسي العربي الراهن المشتت لكي يسهل على الامبريالية استنزاف ثروات الوطن العربي الطائلة .

- الامعان في الاحباط النفسي للشعب العربي ، واثارة اليأس من قدرته في تصحيح الاوضاع الفاسدة وخاصة السياسية منها وبناء الذات على أسس قومية ثورية .

- قيادة حلف ، تحت اشراف الامبريالية العالمية ، من العملاء العرب .

- تأهيلها كقوة ردع ضد القوى الثورية والتقدمية ولصالح الامبريالية العالمية .

---

(١) انظر دراسة معمقة حول الصهيونية نشرها كاتب هذا البحث في مجلة « الفرسان الفكري والسياسي » بعددها الصادر في تموز ١٩٧٨ .

الامبريالية العالمية بزعامة الولايات المتحدة الامريكية وعدتها

في مواجهــة الانسان العربي الثــوري

جيل ما قبل البترول :

لقد عاش شعبنا العربي في شبه الجزيرة العربية ، بصحاريها الواسعة وشواطئها الممتدة والمطلة على البحر الاحمر والخليج العربي وبحرالعرب، حياة بدوية رعويــة متنقلة ، صعبة المراس ، خشنة العيش . وبعض هؤلاء ، وبحكم تواجدهم على ضفاف الخليج العربي وبحر العرب امتهنوا صيد السمك واللؤلؤ ، وركوب البحــار والتجــارة مع الدول والجزر والتجمعات البشرية في أعماق المحيط الهندي وبحر العرب ، ووصلت مراكبهم الشراعية وتجارتهم الى جنوب الفيلبين مرورا بالهند وسريلانكا وجزر المالديف وماليزيا واندونيسيا ، وطافوا سواحل القارة الافريقية وكانوا حقا اسياد البحار والمحيطاتونقلوا الحضارةالعربيةونشروارسالة الاسلام في قارتي آسيا وافريقيا ، وما زالت آثارهم خالدة مــع الزمن تشهد لهم بالعزة والسيادة وبماضي مجيد وعريق . ولقد كانت هــذه النشاطات الاقتصادية موضع اهتمامهم الرئيسي مما شغلهم عن مراقبة وفهم ما يجري حولهم وما يحاك من قبل الامبريالية العالمية لديارهم . ولقد فوجيء هــذا الجيل بالمستعمرين الاوربيين يقدمون لهــم اغراءات عريضة وآمالا تشبــه الاحلام سرعان ما تحولت الى ذهب حقيقي وقصور هيات لهم رغد العيش وحياة لم يعتادوها ، وزوارق للخلاص من شظف العيش والمحنة التي كانوا يتخبطون فيها . لقد قدم لهم الذهب الخالص دون أن يبذل هؤلاء عناء لمحاولة فهم مصدر هذه الثروة وما هو مفهوم الوطنية والسيادة على موارد ثرواتهم الوطنية ، وما علاقة ذلك بمستقبل اجيالهم القادمة . واطلق هذا الجيل يد الغزاة الاوربيين الامبرياليين على ثرواتهم الطبيعية الهائلة بدون قيود وهم في غمرة الاندهاش مما يقدم اليهم دون عناء او جهد يبذل من قبلهم لتحصيل هذه الثروة الطائلة .

وسادت هذه العلاقات ، بعفوية مطلقة ، بين هذا الجيل والامبريالية

العالمية المتمثلة بالكارتلات البترولية الجشعة مما اتاح المجال امام الامبرياليين للتغلغل وتثبيت جذورهم في جميع مظاهر حياة الشعب العربي في شبه الجزيرة العربية ، سواء كانت اقتصادية او سياسية او اجتماعية والى احتكار كل ما يعطي قيمة وما هو مصدر ثروة واحكام التسلط والسيطرة على جميع مرافق حياة الشعب .

جيل البترول :

ان تغير الظروف الاقتصادية لدى الشعب العربي في شبه الجزيرة العربية أدى ، مع الزمن ، الى احداث تغييرات جذرية في حياته المعيشية والاجتماعية والفكرية واعادة تركيب الهيكل الاقتصادي والاجتماعي والفكري على أسس جديدة ، الامر الذي هيأ ظروفا عصرية جديدة ينعم بها الجيل الجديد منذ لحظة مولده ، وكان ذلك سببا في انقطاع الصلة بين هذا الجيل والظروف المادية والسياسية والحياتية التي عاشها جيل الآباء والاجداد .

وبفعل ديناميكية الحياة واستمرارية التطور اتصل جيل الشباب بصورة مباشرة بروح العصر ، ونهل من المعرفة والعلم الذي توصلت اليه البشرية وفي ارقى المعاهد العلمية الاوربية الامر الذي جعل الفجوة الفكرية بينه وبين جيل الآباء هي نفس الفجوة التي تفصل بين العرب في جاهليتهم وبين العالم المعاصر في عقد الثمانين من القرن العشرين . وادرك هذا الجيل حقائق الامور وخبايا الواقع وتناقضاته على ساحة الجزيرة العربية . ادرك حقيقة العلاقة الاستغلالية البشعة القائمة بين الجزيرة العربية بثرواتها الهائلة والمستغلين الاوربيين. أدرك عملية النهب والسلب التي تمارسها الامبريالية العالمية لما هو ملك له ، ولقد استوعب ايضا لعبة الاستراتيجية الامبريالية القذرة التي تلعبها على ارض هذه الجزيرة المعطاء .

وهكذا بدأ يترسخ ويتبلور عصر النهضة القومية في الجزيرة العربية على يد جيل البترول العربي الذي بدأ يستلم مسؤولياته السياسية

والوطنية غير القابلة للتصرف من جيل الآباء ، الجيل المخضرم ، الذي بدا حياة البداوة والصيد والبحار وانتهى الى القصور وحياة الرفاه والوفرة المادية . واننا على يقين من أن جيل النهضة في الجزيرة العربية مؤهل فكريا وقوميا لحمل رسالة العرب كما حملها اجدادهم قبل الف واربعمائة عام .

ان هذا الجيل العربي تنعقد عليه آمال العرب بحمل لواء القومية والوحدة والتحرر ، وسيساهم في نقل العلاقات السياسية والاقتصادية، المجحفة بحق العرب ، القائمة بين الجزيرة العربية والامبريالية العالمية الى وضع جديد يستعيد فيهالعرب حقوقهم المغتصبة وثرواتهم المنهوبة. انه الجيل الذي سساهم في تحطيم الاصنام السياسيين الذين صنعتهم الامبريالية العالمية في الوطن العربي كما حطم المسلمون الرواد اصنام مكة والجاهلية . وسيتوقف على هذا الجيل الدور الرئيسي في تحطيم امبراطورية الامبريالية العالمية ، كما حطم جيل الاجداد الافذاذ امبراطوريتي الروم والفرس ، وحين ذلك سنبني امبراطوريتنا العربية بوحي من رسالتها الانسانية الخالدة التي ستستعصي على الاستباحة والهوان . اننا هنا لا نتهم الجيل العربي المخضرم ، جيل ما قبل البترول، في عروبته وقوميته ولكن الواقع العربي الراهن يتطلب ان نتحلى بدرجة عالية من التضحية والعزيمة لاتخاذ القرار القومي الكبير . ولقد شهدنا تمردا قوميا بطوليا رائعا لشخصية سياسية عربية فذة في العقد الماضي هي شخصية المرحوم الملك فيصل . لقد أعلن رحمه الله عروبته وقوميته على الملأ متحديا جبروت الامبريالية المتحكمة والمستعمرة لارادتنا وخيراتنا وقدراتنا اللامحدودة حينما اكد لرسول الامبريالية الامريكية والصهيونية « كيسنجر » انه عزم على الصلاة في القدس قبل ان يموت. لقد اغتالت الامبريالية الملك فيصل ولكن رسالته لا بد ان يحملها جيلنا العربي الجديد في الجزيرة العربية . لقد كان عزم واصرار الملك فيصل مبنيا على يقين وثقة بالنفس وبالوطن وخيراته وبالامة العربية لانها هي القادرة على فرض ارادتها ، اذا ما صممت على ذلك ، واخضاع الاعداء لانها تملك وتمد الامبريالية العالمية بكل مقومات هذا العصر اللازمة

للصناعة مجانا وبدون مقابل. ان الامة العربية لا تمد الامبريالية بالبترول فحسب ولكنها تمده بالمال الذي تقوم عليه صناعاتها الامبريالية العدوانية أيضا. ونشهد اليوم صورة أخرى من التمرد العربي في القطر (ك) وهو محصلة الرغبة بالانعتاق من قيود السيطرة التي تتاصل في نفوس الشباب المثقف والتمرد القومي الأبي الذي يتجذر في نفوس قيادة هذا القطر المخضرمة بين جيلين .

الامبريالية تعد العدة لمواجهة جيل البترول العربي

تراقب الامبريالية العالمية ، بزعامة الولايات المتحدة الامريكية، بقلق وحذر شديد النهضة الفكرية التي بدات تسود جيل الشباب في الجزيرة العربية وتعد العدة لحرب المواجهة المقبلة . ان الامبريالية خير من يدرك بالتجربة ان الشعوب وحدها القادرة على فرض اراداتها القومية وسيطرتها على ثرواتها ومقدراتها المسلوبة ولابد من ان تنجح في استعادة حقوقها واسترجاع سيادتها المسلوبة اذا كانت في وضع يمكنها اتخاذ القرار القومي ، ولن تتوانى امة من الامم عن اتخاذ مثل هذا القرار اذا ما بلغت مرحلة الوعي السياسي القومي الامثل . ان الامبريالية لاشك بأنها تجيد لعبة المجابهة وكسب الوقت وتنفيذ استراتيجيتها ضد الشعوب على مراحل وذلك كمحاولة لتأجيل المواجهة الحتمية والانفجار القومي ما استطاعت اليه سبيلا . ولكن الشعوب هي القادرة بوعيها وصمودها على اجبار الامبريالية على مراجعة استراتيجيتها . واستخدمت الامبريالية الامريكية ، منذ حرب تشرين التحريرية التي قلبت موازين القوى في الوطن العربي ووضعت الامبريالية واداتها الصهيونية في محنة حقيقية ، التكتيك التالي لكبح جماح المد العربي القومي الثوري نحو الوحدة وتحرير ثروات الوطن العربي من سيطرة واستغلال الامبريالية العالمية ، ولمواجهة جيل النهضة في الجزيرة العربية :

— العمل على الغاء جميع المكاسب القومية التي حققها العرب في حرب تشرين ١٩٧٣ .

ـ اخراج مصر من معركة المواجهة مع الامبريالية والصهيونية وجعلها حليفة لهما واداة تستخدمها الامبريالية الامريكية لقمع الحركات الثورية في آسيا وافريقيا وتزويد الانظمة السياسية العميلة للامبريالية في الاقليم الآسيوي ـ الافريقي بالاسلحة الامريكية وجعلها معسكرا لتدريب القوى المضادة للثورات التقدمية .

ـ العودة الى سياسة الحرب الباردة ووضع الوطن العربي على حافة حرب بتنفيذ ما يلي :

ـ التواجد العسكري الامريكي في الوطن العربي وحشد قواتها العسكرية في قواعد بحرية وبرية تشكل حزاما عسكريا يطوق الوطن العربي ، وتتواجد على الارض العربية في البحرين ، وقطر ، وعمان ، والسعودية ، والصومال ، والسودان ، ومصر ، وترتبط بقيادة مشتركة تتمركز في فلسطين المحتلة .

ـ تطوير مصر الى قاعدة عسكرية مركزية للقوات الامريكية وذلك ببناء اكبر قاعدة عسكرية امتلكتها الامبريالية في العالم الثالث وتقع على خليج السويس وتستوعب جيشا تبلغ قواه اكثر من ٢٥٠ الف عسكري امبريالي اطلق عليه « قوات التدخل السريع » مهمته قتل وخنق الحركات القومية الوطنية في الوطن العربي حتى قبل أن تولد .

ـ تشكيل حلف معلن من اسرائيل والنظام المصري بزعامة الولايات المتحدة الامريكية وبتعهدها بتزويده بكل اسباب الدمار والسيطرة التي تتطلبها المهمات الخبيثة الموكلة الى هذا الحلف الدنس .

ـ حشد الاسطولين الامريكيين السابع والسادس في مياه الخليج العربي ، وبحر العرب ، والبحر الابيض المتوسط وربطهما بقيادة الاساطيل

---

(1) انظر دراسة لكاتب هذا البحث نشرت في مجلة المناضل بعنوان « الولايات المتحدة والاحلاف العسكرية » .

الحربية الامريكية المتواجدة في المحيط الهندي (مانيلا ـ الفيلبين) وذلك لاستكمال طوق السيطرة والاحكام على الوطن العربي .

ـ تقوية أواصر العلاقات بين اسرائيل وجنوب أفريقيا ، الكيانين العنصريين ، كاداة للارهاب والقمع تستخدمها أمريكا لربط مشاريعها الاستغلالية والاستعمارية في القارتين الافريقية والآسيوية معا مستخدمة بذلك جميع الاساليب المتاحة بوقاحة وبدون حياء ، وسواء كانت تلك الاساليب عنصرية أو همجية بربرية ، مشكلة بذلك حلفا ارهابيا لم تعرفه البشرية عبر التاريخ .

ـ اثارة حروب اقليمية طائفية في داخل الوطن العربي امعانا في سياسة التمزيق والتشتت والتشريد الاقليمي والبشري .

ـ شن حرب اقتصادية ضد الامة العربية ذي حدين تحقق لها الاهداف التالية :

١ ـ ابقاء الوطن العربي في تخلفه العلمي والتكنولوجي والاجتماعي والاقتصادي وذلك بحرمانه من موارد ثرواته الطبيعية ، البترول خاصة، بنهب هذه الثروات دون مقابل ومده بما يلهي حكامه الاسميين .

٢ ـ ان الامبريالية الامريكية هي التي اوحت برفع سعر البترول الى ما هو عليه الآن لان المبالغ المدفوعة من قبلها الى العرب تكون نسبة جدا محدودة من القيمة الاسمية الكلية تحدد بقرار امريكي سياسي وتحتفظ بالمبالغ الرئيسية الباقية التي تبلغ أكثر من ٨٥ بالمائة من القيمة الكلية ، لان هذه المبالغ الطائلة مجرد ارقام مسجلة لدى البنوك الامريكية غير قابلة للتحويل الى سيولة نقدية ، سواء كانت الاصول أو الفوائد ، لان الاقتصاد الراسمالي بكامل طاقته يعجز عن توفيرها ويستحيل دفعها لاصحابها العرب الشرعيين . وتمارس امريكا برفع سعر البترول هذا سياسة تأديبية واستغلالية ضد حلفائها الاوربيين الغربيين الذين رفضوا الانصياع ، بزعامة « ديغول » لاوامر الرئيس الامريكي « نكسون » في

العام ١٩٧٢ للمشاركة في نفقات القوات العسكرية الامريكية المرابطة في أوربا ونفقات حلف الاطلسي . وتدفع اوربا الغربية ثمن بترولها المستورد من الوطن العربي الى الشركات الامريكية التي تودع تلك الاموال لدى البنوك الامريكية .

ـ ان الامبريالية الامريكية هي المستفيدة الوحيدة من الاموال العربية اللامحدودة بتحويلها الى قواعد عسكرية وعلى أرض عربية ، والى اسلحة دمار نووية وتقليدية لتهديد المعسكر الاشتراكي من جهة واحكام السيطرة على الوطن العربي من جهة اخرى . ان الامبريالية الامريكية تقاتلنا بأموالنا العربية وتستغلنا وتستعبدنا وتحكم السيطرة علينا ، بأموالنا العربية اقامت امريكا قاعدتها الصهيونية في فلسطين العربية التي شادت مفاعلها النووي وانتجت حتى الآن ما يزيد عن (٦٠) قنبلة ذرية ، واشترت الطائرات والصواريخ الامريكية التي تقتل اطفالنا وتستبيح حرماتنا وسيادتنا وتمنعنا من بناء صناعاتنا العسكرية ونختار بديمقراطية انظمتنا السياسية القومية الثورية التقدمية الوحدوية .

ـ ولم تكتف أمريكا بهذا الحزام الاستراتيجي بشكليه الاقتصادي والعسكري الخانق لوحدتنا وحريتنا كعرب ولكنها استخدمت جيشا أجنبيا ، بقرار سياسي صادر عن حكام عرب ، يعيش بين شعبنا العربي ويتواجد تحت كل حبة رمل من صحرائنا العربية جندي غازي من هذا الجيش . ان المشاريع الاقتصادية الوهمية التي تضمنتها خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية في اقطار البترول العربية استدعت بالضرورة بحكم الهدف من وضع هذه الخطط استقدام عمال لتنفيذها . وبما أن الامبريالية بقراراتها المزيفة للقرارات السياسية العربية الاقليمية تحرم على العمال العرب التواجد في مناطق النفوذ الامبريالي الا نسبة معينة قد لا تتجاوز خمسة بالمائة فكان لابد وان تستخدم عمالا غير عرب لتنفيذ مشاريع التنمية . وهكذا نجد ان (٧٠٠) الف عامل كوري جنوبي دخل الجزيرة العربية خلال عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٨ .

ان شعبنا العربي في الجزيرة العربية هو اعلم بحقيقة هؤلاء العمال اذ انهم جيش امبريالي كامل بعدته وعديده تستخدمه الامبريالية الامريكية كقوة عسكرية خانقة لتاديب الشعب العربي اذا ما حاول التمرد والتحرر ، وكقوة عسكرية جاهزة للسيطرة على الوضع . ان هذا الجيش البشري العرم له معسكراته الخاصة التي تحرم على الحكومات المحلية دخولها او الاشراف عليها . معسكرات كاملة التجهيز بمختلف صنوف الاسلحة . واذا ما أخذنا بعين الاعتبار ان مجموع عدد الجيوش العربية في الجزيرة العربية لا يتعدى الخمسين الف عسكري وهي بتكوينها جيوش حراسة للقصور وللعائلات الحاكمة اسقطنا كليا الامل في القدرة العسكرية لهذه الاقطار ، في ظروفها الراهنة ، على المقاومة والافلات من هذا الكابوس الارهابي الذي تسلطه امريكا على شعبنا العربي وبالتالي على الوحدة والثورة العربية .

الوحدة العربية ضمان لأمن الوطن العربي

تواجه الامة العربية قدرا محتوما ومصيرا مشتركا يتحدد بمحض اختيارها ، وهي القادرة على اختيار حريتها وأمنها باختيارها الحرب الشاملة للقضاء على العوامل الداخلية والخارجية ، موضوع بحثنا ، التي تكرس التجزئة والتخلف لتحقيق الهدف الكبير وهو الوحدةالعربية .

ان الحقد واللعنة والنقمة الامبريالية ـ الصهيونية تطال وتلاحق كل مواطن عربي وكل شبر من الارض العربية ولا امن لقطر دون آخر في ظروف التجزئة والتخلف والانسحاب من المواجهة المحتومة .

ان الامة العربية جديرة بالانتصار في حربها الشاملة فيما اذا استعادتحريتها المسلوبة وحررتانظمتها السياسية من عبودية وتسليط الامبريالية فهي تحرر بذلك قراراتها السياسية القومية من قيود اعدائها، ولابد ان تقف حين ذلك على طريق الثورة والنضال الشامل .

ما هي الوسيلة اذن لتحرير الذات والارادة السياسية العربية ؟ ؟

ان الوسيلة تكمن في الاجابة على السؤال الكبير التالي :

هل نرفض السيطرة الامبريالية كاملة ؟ ؟

ان الاجابة « بنعم » تعني :

– اعلان الثورة والحرب العربية الشاملة ضد الامبريالية بهدف تحقيق الوحدة العربية .

– اعتماد الديمقراطية أساسا لاختيار النظم السياسية العربية واجهزتها الشعبية ، لأن الديمقراطية هي الانسان الحر المتحرر من قيود الجهل والذل والرق ، بل هي الثورة الحقيقية القادرة على التغيير .

– أن يسحب العرب أموالهم من البنوك الامريكية الا ان سحبها يتطلب قرارا سياسيا له قوة الاسلحة الذرية والاساطيل النووية التي توجهها الامبريالية الى نحر الامة العربية والبديل المنطقي أن يؤمم العرب جميع الشركات الامبريالية العاملة في الوطن العربي أو التوقف كليا عن استخراج النفط .

وليس هناك اداة أكثر فاعلية وقدرة على اتخاذ هذا القرار من « الشعب » مصدر القوة المطلقة وصاحب المصير وصانع مستقبل اي وطن واي أمة من الامم ، وهو الحل الشامل للمتاهات التي تعيشها الامة العربية . وما أحوج هذه الامة الى قائد ثوري قومي وحدوي في كل قطر من اقطارها ، ولن يولد هذا القائد الا اذا كان كل مواطن عربي ذلك القائد .

* * *